يصيبون منها مقتلا إلى اليوم فى أحاديثهم وخصوماتهم السياسية والحزبية والدينية والاجتماعية . فهى ضحية هذه الألسنة المتصاولة تَردُ فى الشعر والنثر فجاءة ، حين يكون الحديثُ فى المهجوّ فسيتحضرُها الشاعرُ أبداً ويخصها بغضبه وعدائه ، وهى لا تدرى من الأمر شيئاً ، ولا تعرف أنها موضعُ هذه العناية ، ولكنها مكرهةٌ على أن تخوض فى الميدان ، وأن تكونَ فريسةً للهجاء .

وفى كتب الأدب كثير من الشعر فى الهجاء يتناول المرأة على صور شتى ، بعضُها مقذعٌ حتى ما نستبيح لأنفسنا روايته هنا لأنه يعلقُ بالجسدية المنحطّة يَذكر منها ما لا يُذكر ويصف منها ما لا يُوصف ، فى خيال جامح يتصل بالفن حيناً ويبتعد عنه أحياناً . وسنعوج على بعض هذه الصور نستخلصها من الوحل الذى تغوص فيه ، ونعرضُ منها ما نستطيع أن نعرض بالحذف والتحوير ، لعلنا نصل إلى دراسة الطريقة التى كانوا يتناولون بها المهجو نفسه فيصوّرون النساء عنده أو يهجون المرأة وهم يقصدونها . وسبيلنا إلى ذلك مختارات الأدب ودواوين الشعراء ، وكتب النقد القديمة ، نقرؤها ونبرز ما كان من الهجاء فيها .

فى الحماسة أن عبد الله بن أوفى الخزاعى هجا امرأته فقال إنها نمامة بين الناس مثل كلب الهراش يهيج الشرّ ، تسعى بين جيرانها بالوقيعة والدس ، فتدّعى رؤية ما لم تر ، وتُسرف على ذلك فى الأكل والشراب فلا تعرف القناعة والصحة فيقول :

فَإنْ تَشرَب الزق لا يَرْوها ... وإنْ تأكل الشاةَ لا تَشْبَع
وليْستَ بتاركةٍ محرماً ... وَلوْ حُفَّ بالأسَل الشُّرَّع [1]

وهى صورةٌ بارعةٌ لامرأة تشرب الزق كله فلا ترتوي ، وتأكل الشاةَ كلها فلا تشبع ، فأىّ جسد تحمل وأى معدة تملك ، ومن هى هذه الأنثى التى تسابق الرجال فى الهجوم على المأكل والمشرب ، ثم إنها تبز النساء فى الهجوم على المحارم كذلك ، فلا تغادر واحداً منها ، ولا يمنعها عن إتيانه